

التكفل الاجتماعي للمسنين في ظل المتغيرات المجتمعية في الجزائر Social care for the elderly in light of societal changes in Algeria

عزیز بای¹، مریم بوشارب²

1 جامعة عنابة، azizbey2126@gmail.com

2 جامعة عنابة، Bouchareb-meriem@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/08/06 تاريخ النشر: 2022/12/25

Abstract :

This research paper aims to shed light on the problem of the reality of the elderly in our country, Algeria, as it is one of the most important phenomena that has changed profoundly according to the family's interaction with it, as well as in terms of its exacerbation and manifestation in different forms that did not exist before, as the problem of the elderly, although it is old The human presence was introduced because it is an age stage that most individuals may go through, but it was not so long ago that it was not raised as severely as it is in recent times, where the positive family and social view of a wide group of the elderly and the infirm has changed to a negative view that made them suffer from multiple problems. In the foreground is the deprivation of family warmth, and therefore they live kinship and social alienation, so our current study sought to reveal the confusion about the phenomenon by identifying its manifestations, its causes and the factors that nourish it, and then trying to find alternatives that can be adopted to besiege it and reduce the negative view Towards this broad social stratum, which is the reason for our existence and the

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على مشكلة واقع المسنين في بلدنا الجزائر كونها واحدة من أهم الظواهر المتغيرة تغييرا عميقا بحسب التعاطي الأسري معها، وكذا من حيث استفحالها و تظهرها بإشكال مختلفة لم تكن موجودة من قبل، إذ أن مشكلة المسنين رغم أنها قديمة قدم الوجود البشري لأنها مرحلة عمرية قد يمر بها اغلب الأفراد إلا أنها والى وقت ليس بعيد لم تكن مطروحة بالحدة التي هي عليها في الآونة الأخيرة، أين تغيرت النظرة الأسرية والاجتماعية الانجاسية لفئة عريضة من المسنين والعجز إلى نظرة سلبية جعلتهم يعانون مشاكل متعددة، في مقدمتها الحرمان من الدفء العائلي وبالتالي يعيشون اغترابا قريبا و آخر اجتماعيا، لذلك سعت دراستنا الآتية إلى كشف اللبس عن الظاهرة من خلال التعرف على مظاهرها وأسبابها والعوامل التي تغذيها ومن ثم محاولة إيجاد البدائل التي يمكن اعتمادها لمحصرتها والتقليل من النظرة السلبية نحو هذه الشريحة الاجتماعية الواسعة التي هي سبب وجودنا و سبب ما نعلم فيه من رفاه حياة و رغد عيش، و ذلك من خلال الإجابة

*المؤلف المرسل: عزیز بای، الإيميل: azizbey2126@gmail.com

reason for the well-being in which we enjoy life and prosperity, by answering the following central question:

- What is the reality of the lives of the elderly in our country, Algeria?

In order to be able to provide an objective scientific answer about it, we have broken it down into sub-questions:

1 - How are the elderly treated within their families in light of the disintegration of family ties?

2 - What are the reasons for their marginalization and social exclusion?

3 - How to take care of them in nursing homes?

Keywords : The elderly, Infirmary, Social exclusion., Social Security, Elderly problems

عن التساؤل المركزي الآتي :

- ما واقع حياة المسنين في بلدنا الجزائر داخل

الأسرة و في دور العجزة ؟

وحتى يمكننا تقديم إجابة علمية موضوعية عنه قمنا

بتفكيكه إلى تساؤلات فرعية هي :

1 - كيف يعامل المسنون داخل عائلاتهم في ظل

تفكك الروابط الأسرية ؟

2 - ما أسباب تهيمشهم واستبعادهم اجتماعيا ؟

3 - كيف يتم التكفل بهم في دور العجزة ؟

الكلمات المفتاحية : المسنون، دار العجزة، الاستبعاد

الاجتماعي، التكفل الاجتماعي، مشكلات المسنين.

■ مقدمة:

الأسرة الجزائرية كغيرها من الأسر في كل المجتمعات تتكون في الغالب من تركيبة بشرية تعبر عن كل متكامل قوامها الآباء و الأبناء و الأجداد يعيشون في بيت واحد متحدين متعاونين متكاملين متفاعلين كل حسب مركزه و دوره، فتماسك الأسرة و تقوى و تحافظ على كينونتها من كل خطر يهددها بالتفكيك. لكن في الآونة الأخيرة و مع تعقد الحياة المصاحب للتطور التكنولوجي الذي تعرفه الإنسانية تغيرت معه التركيبة البشرية للأسرة من ممتدة أو مركبة إلى أسرة نووية قليلة عدد الأفراد و تفككت على اثر ذلك الروابط الأسرية التي كانت تربط بين عناصر ثلاثة مهمة هي الأبناء و الإباء و الأجداد و اختلطت الصلاحيات و الأدوار ليتضرر من هذا التغير العنصر الأكبر سنا و هو الجد إلى وقت قريب والذي أصبح اليوم يلقب بالمسن أو العجوز أو الشيخ، وتتغير النظرة نحوه من محبوب و مرغوب فيه الى منبوذ و متخلى عنه و مستبعد اسريا وجتماعيا ويفقد مكانته و دوره الريادي الذي كان يؤديه إذ انه كان المرجعية العامة و الرأس المدبر للأسرة في اتخاذ كل قراراتها و يوصف اليوم بأنه العاجز القاصر الذي لا يمكنه أن يساهم في التغيير و دفع عجلة التقدم الأسري، انه المسن و هو المفهوم الذي سنتطرق إليه بنوع من التفصيل

في دراستنا هذه سعيا إلى تسليط الضوء على مشكلة استبعاد المسنين اجتماعيا ونبذهم أسريا والتنكر لأدوارهم و تجاهل مطالبهم و التقصير في توفير حاجياتهم رغم أننا نعلم يقينا أنهم هم سبب وجودنا و سبب ما نحن فيه من رفاه حياة و رغد عيش من خلال التركيز على أهم الأسباب المؤدية إلى هذا الوضع المعيشي المزري للمسنين، و هو الأمر الذي جعلهم يعيشون اغترابا قريبا وانسحابا اجتماعيا، نعم أن تصير شيخا طاعنا في السن فهذا أمر منطقي كون الشيخوخة مرحلة أخيرة من المراحل العمرية التي تمر بها حياة الكائنات البشرية يتحول فيها الفرد من قوة إلى ضعف حيث أننا - نبدأ حياتنا صغارا و ننهيها صغارا - و لكن غير المنطقي أن تهان و تترك و يساء إليك من اقرب الناس إليك، و لان شريحة المسنين تعيش اليوم حياة شقاء و تعاني عديد المشكلات التي تتشابك جملة أسباب في توليدها و عدة عوامل في تطعيمها تجعل منهم مطرودين اسريا و محمشين اجتماعيا و ينظر إليهم نظرة دونية تشعرهم بالاكنتاب و القلق و الإحباط و هو الأمر الذي يؤدي بهم إلى ولوج عالم الأمراض المزمنة و الإعاقات المشوهة وخصوصا منهم الفئة التي تحرم نهائيا من الدفء الأسري ، و التي قد ينعزل أفرادها في مساكن منفردة و لا احد يقوم عليهم و يتجه بعضهم إلى التشرد في الشوارع و الساحات العامة، و قد يكون أوفر حظا عددا منهم ممن يحولون للإقامة في دور العجزة و مراكز الإيواء الاجتماعي. هذه الأسباب و العوامل من الضرورة بمكان البحث عنها و اكتشافها، ومن ثم محاولة إيجاد حلول تحاصر ظاهرة التعاطي السلبي مع المسنين و تقلل منها و لم لا الحد منها نهائيا ؟ ومن اجل ذلك فقد جعلنا ورقتنا البحثية في شكل محورين مترابطين خصصنا الأول للحديث بإيجاز عن الأسرة كونها منبت هذه الظاهرة الاجتماعية وجعلنا الثاني للحديث بنوع من التوسيع عن المسنين و واقعهم الاجتماعي في بلدنا الجزائر.

أولا : الأسرة:

من منطلق اعتقادنا بأنه لا يمكننا الحديث عن المسنين و أحوالهم ما لم نعرض ولو بإيجاز إلى مفهوم الأسرة على أساس أنها اللبنة الأولى و الأساسية لبناء المجتمعات و هي مقر إقامة مجموعة من الأفراد و قد يكون من ضمنهم المسنين و الذين هم موضوع مداخلتنا، و كيف أن للأسرة دور كبير

بل واجب مؤكد في التكفل بهم و رعايتهم و توفير الخدمة الاجتماعية التي تخفف عنهم من الأهمم و آهاتهم و تهون عنهم تغيرات كثيرة تظهر عل أجسادهم و على أنفسهم و عقولهم .

1 - تعريف الأسرة:

تعرف الأسرة حسب (هيشور، و سقني، 2021، ص170) على أنها: "تلك الوحدة الاجتماعية المكونة من رجل و امرأة أو عدد من النساء تربطهم رابطة زواجية معترف بها اجتماعيا و قانونيا و شرعيا و يعيشون مع أولاد من نسلها، أو من غير أولاد و تقوم بمجموعة من الوظائف لأجل بقائها و استمرارها"

كما ويرى دوركهايم في هذا الصدد بان الأسرة: ليست ذلك الجمع الرياضي أو العددي لمجموعة من الفرديات أو الأشخاص عن طريق المؤسسة الزواجية و القرانية بل المفهوم أعمق من ذلك، إنها مؤسسة اجتماعية تكونت لأسباب اجتماعية و يرتبط أعضاؤها حقوقيا و خلقيا ببعضهم البعض". (هيشور، 2021)

إذن الأسرة هي كل متماسك متكامل متفاعل متكافل اجتماعيا لكل أفرادها حقوق تنال و واجبات تؤدي لا فرق في ذلك بين ذكر و أنثى من جهة و لا بين كبير و صغير من جهة أخرى و كل خلل وظيفي لأحد عناصرها يعرضها لعدد المشكلات بسبب تفكك تلك العلاقات و الروابط.

2 - المنظور الإسلامي للأسرة:

يرى (السرغاني، 2010، ص111) بان "الأسرة تقوم على دعامين مهمتين هما أساس تكوينها هما الرجل و المرأة - الزوج و الزوجة - من خلال إنجاب الذرية التي تتكون منها الأم و المجتمعات" يصيران والدين أو أبوين بعد أن يصير عندهما أبناء". و بين الآباء و الأبناء حقوق و واجبات متبادلة يجب احترامها من الطرفين حتى تستقيم حياة الأسرة وتنعم بدفء الأبوة و البنوة و الأخوة. إذ لا بد من أن يطيع الصغير الكبير و يوقره و بالمقابل يحترم الكبير الصغير و يقدره. و نركز في هذا الصدد على كيفية تعاطي الأبناء تجاه آبائهم و حتى أجدادهم في بعض نماذج الأسر الممتدة و كيفية

تفاعلهم معهم و معاملتهم لهم، كون موضوع مقالنا متركز حول كبار السن و كيف تتكفل بهم و تقوم على خدمتهم.

" و إن من أعظم البر ما يكون في حال كبرهما أي عندما يصيران طاعنين في السن وقد بلغا مرحلة الشيخوخة و هو حال الشيبة و الضعف البدني و العقلي الذي قد يؤدي إلى العجز. فيتوجب علينا أن نخطبهما بالين والرفق و بالشفقة الرحمة بهما و الإحسان إليهما مع وجوب الدعاء لهما بالرحمة" - و هذا على الأقل رد للجميل - كونهم هم سبب وجودنا و سبب وجود ما بين أيدينا من ممتلكات.

و من أعظم ما شرعه الإسلام من حقوق للآباء على الأبناء أن الأبناء و ما يملكون من ممتلكات هم ملك لآبائهم و هو ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف وهو ما جاء في حديث جابر بن عبد الله و الذي فيه: " أن رجلا قال : يا رسول الله إن لي مالا وولدا، و ان آبي يريد أن يحتاج مالي . فقال : أنت و مالك لأبيك "

قال الله تعالى : ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تهرهما و قل لهما قولا كريما * و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا *)) الإسراء . الآيتان 23- 24

فيه أمر واضح بالإحسان إليهما ونهي صريح عن عقوبتهما و الإساءة إليهما و لو بجرح مشاعرهما بالتأفف عليهما بكلمة "أف" كعلامة على الضجر القلق منهما. فكيف بالاعتداء عليهما سبا و شتما أو ضربا و مقاطعة وتركاً أو رميا خارج البيت و زجا بهم في دور المسنين ؟

3 - الأسرة الكبيرة (الرحم) أو الأسرة المركبة:

وذكر (السرجاني، 2010، ص 124) أن "من عظيم ما جاء به الإسلام أن الأسرة لا تقف عند حدود الوالدين و أولادهما بل تتسع لتشمل ذوي الرحم و أولي القربى من الإخوة و الأخوات. الأعمام و العمت و الأخوال و الخالات و أبناءهم و بناتهم و هؤلاء جميعا لهم حق البر و الصلة و قد وضع الإسلام أحكاما و أنظمة ما يوجب دوام الصلة قوية بين أفراد هذه الأسرة الموسعة بحيث يكفل بعضهم بعضا .. كما يوجب ذلك نظام النفقات و نظام الموارث"

فإذا كان الأمر هكذا و الحال هذه فيما يخص أفراد الأسرة الموسعة و كيف ينبغي أن تكون العلاقات التفاعلية بينهم ايجابية تدفع نحو التالف و الترابط و التكافل مما يكسب الأسرة تماسكا و قوة. فكيف يليق أن يتخلى الأبناء في زماننا هذا و بقسوة و وحشية عن أصولهم (الآباء و الأجداد) متحججين في ذلك بحجج واهية لا تتوافق مع مبادئ و أخلاق ديننا الحنيف وبعيدة كل البعد عن قيم حضارتنا العربية الإسلامية؟

4 - موجز عن التحولات التي عرفتها الأسرة الجزائرية:

رغم أن المألوف عن الأسرة الجزائرية أنها ظلت متماسكة في شكل اسر ممتدة ومركبة (عائلات) في أحلك الظروف التي عاشها المجتمع الجزائري على مر الحقب التاريخية، و أن خير دليل على ذلك فترة الاستعمار الفرنسي الذي طبق سياسة القهر و التفرقة باقتراف الجرائم اللاانسانية الشنيعة و رغم ذلك لم يستطع أن يفكك تلك الروابط القرابية للأسر الجزائرية التي أثبتت صلابه البناء الاجتماعي الجزائري، إلا أن هناك محطات تاريخية استثنائية مر بها مجتمعنا الجزائري استطاعت أوضاعها أن تعصف بهذا التماسك الأسري و الترابط العلائقي بين الأسر الجزائرية ذاتها من جهة و بين أفراد الأسرة الواحدة من جهة أخرى، و قد أدى ذلك إلى اختلال توازن الوحدة و التكافل الاجتماعي و من ثم تفكك التركيبة الاجتماعية ككل، وإن ابرز محطة يمكن التدليل بها لهذه الرؤية هي محطة فترة التسعينات التي شهدت خلالها الجزائر تغيرات جذرية على جميع الأصعدة و شملت كل النظم الاجتماعية إذ كان التغير اجتماعيا و اقتصاديا و سياسيا وامنيا اثر المأساة الوطنية التي اجتاحت بلادنا على اثر التحول من القطبية الأحادية -الحزب الواحد- إلى الديمقراطية -التعددية الحزبية- و قد امتد تأثير ذلك إلى تغير المورفولوجية الأسرية تغير على إثرها ترتيب البيت الأسري في ثوبه الجديد المعصرن (الأسرة النووية) بدلا عن سابقه التقليدي و الذي يختلف عنه جذريا (الأسرة الممتدة أو المركبة) فتغيرت التفاعلات و المعاملات و تداخلت الصلاحيات و تضاربت المصالح و تغيرت الأدوار و اختلت المراكز و انعكس ذلك بالضرورة على شريحة المسنين الذين أصابهم الضعف بعد قوة لأنهم هم الفئة التي تحتاج أكثر إلى

خدمات غيرها من أفراد الأسرة، حيث ظهرت أفكار قيمة جديدة تمجد التصورات الذاتية التي طغت عليها الأنانية و المصالح الشخصية الضيقة. (هيشور، وسقني، 2021، ص171)

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ((يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم وقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم ليبلغوا أشدكم و منكم من يتوفى و منكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا و ترى الأرض هامة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت و ربت و انبتت من كل زوج بهيج)) سورة الحج . آية 5

من خلال ما أشارت إليه الآية الكريمة أن مرحلة الشيخوخة هي مرحلة عمرية ليست اختيارية بل هي من صميم أقدار الخالق جل في علاه و سيعيشها كل من لم يختطفه الموت في إحدى المراحل العمرية التي تسبقها و سيتحول فيها الفرد إلى فئة ذوي الاحتياجات الخاصة (صنف كبار السن). و في ذلك زجر لنا وتحذير حتى لا تتعاطى مع المسنين بسلبية تزيدهم أهات و أحزان إلى معاناتهم من الضعف الذي ألوا إليه وهو الأمر الذي يجعلنا نفكر بإيجابية و نتعامل مع المسنين بإيجابية لان الأمر سينعكس علينا يوما ما، و إن الجزء من جنس العمل .

ثانيا: المسنون والتكفل بهم:

1 - المسن اصطلاحا:

حسب ما ورد لدى (غنام، 2019، ص305) فقد عرفت الأمم المتحدة و جامعة الدول العربية المسن بأنه: "كل من تجاوز عمره الستين سنة" و يشار إليه في العلوم الاجتماعية بأنه: "بلوغ السن الذي ينتهي فيه نضج الإنسان و يتحول النمو إلى عملية تفكك و هبوط تدريجي في قدرة أعضاء الجسم على القيام بوظائفها"

و يحدث في هذه الفترة ضعف و انهيار في الجسم و اضطرابات في الوظائف العقلية و يصبح الفرد اقل كفاءة و ليس له دور محدد و يصير المسن منسحب اجتماعيا و سيء التوافق و منخفض الدافعية .

كما يعرف المسن في إشارة له لدى (بوريش، 2021، ص411) بأنه: "هو كل فرد ذكر كان أو أنثى بلغ الستين من عمره فأكثر و ظهرت عليه مجموعة من التغيرات الجسمية و النفسية و الاجتماعية والاقتصادية و أعجزته شيخوخته عن العمل و القيام بشؤون نفسه مما يضطره إلى الحاجة إلى رعاية و مساعدة الآخرين له"

قال الله تعالى في محكم تنزيله : ((الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة

ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)) سورة الروم . آية 54
2- دار العجزة: ذكر (بوريش، 2021، ص412) "هي تلك المراكز و المساكن الاجتماعية المخصصة لإيواء الأشخاص الذين يتميزون بصفة الضعف و العجز، أو أناس وصلوا سن الشيخوخة و هم الذين تتجاوز أعمارهم الستين عاما فأكثر فيها يقطنون و يعيشون حياتهم الخاصة و يتلقون خلال وجودهم هناك المأوى و المأكل و المشرب و الملبس و العلاج و الترفيه " .

3 - دار الرحمة:

هي مؤسسة خيرية ذات طابع اجتماعي إنساني تسهر على إيواء فئات المسنين الذين يتعدى عمرهم ال 65 سنة و الذين يفتقدون لأي رابطة أسرية اجتماعية، كما تستقبل أيضا الأمهات العازبات في الطور الثالث من حملهن و كذا الأشخاص المصابين بمرض مزمن و خاصة مرض السرطان و تقدم لهم التكفل الطبي و النفسي و الاجتماعي وفق الحاجة كما توفر برنامج إصغاء وإعلام و توجيه لفائدة الفئات الاجتماعية المختلفة التي تعيش ظروف صعبة و ذلك حسب الطلب و توفر إيواء مؤقت لا يتعدى ستة أشهر و تلعب دورا وسيطا للأسر في وضعيات صعبة. (وكالات شرقي، النهار اونلاين، 2014.16225/05/15

(<https://www.ennaharonline.com>)

4 - مفهوم الرعاية: ورد لدى (غنام، 2019، ص305) بأنها "هي ذلك الكل من الجهود و الخدمات الصحية و الاقتصادية و الترويجية التي يقدمها المجتمع و الأسرة لأفرادها خاصة العاجزين منهم لوقايتهم من الوقوع في المشكلات و التي تساعد هؤلاء الذين عجزوا عن إشباع حاجاتهم الضرورية للنمو و التفاعل الايجابي في نطاق النظم الاجتماعية القائمة لتحقيق أقصى تكيف مع بيئته المعيشة"

5- الخدمة الاجتماعية: حسب (بوريش، 2021، ص416) تعرفها الجمعية القومية للأخصائيين الاجتماعيين على أنها : "مهنة متخصصة في تسهيل تنمية العلاقات الاجتماعية للأفراد و الجماعات مع النظم الاجتماعية ... و تقع المسؤولية الاجتماعية على الخدمة الاجتماعية في معرفة الظروف الاجتماعية للمجتمع حاضره و مستقبله و تقدم النهج للمسؤولين في المؤسسات الحكومية والطوعية و قادة المجتمع أيضا ... من التعاون لإزالة المعوقات ... و ابتكار خدمات و قوائم احتياجات مواطني المجتمع .

أما الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المسنين فتعرف كما أشار بذلك (بوريش، 2021، ص416) على أنها: " الأنشطة المهنية لمساعدة كبار السن كأفراد وجماعات وكمجتمعات لتقوية أو استعادة قدراتهم للأداء الاجتماعي و تحقيق علاقات مرضية في مختلف الخبرات الاجتماعية و تغيير أوضاع البيئة التي يعيش فيها كبار السن بما يساعد على تنمية قدراتهم على الأداء الاجتماعي الذي يحقق لهم التكيف السوي" .

كما تعرف الخدمة الاجتماعية أيضا بأنها: "تلك الجهود و الإجراءات الفنية التي يمارسها الأخصائيون الاجتماعيون في مؤسسات رعاية المسنين لتحقيق أفضل تكيف ممكن لهم مع بيئاتهم الاجتماعية الجديدة" . - دور الرعاية الاجتماعية - (بوريش، 2021، ص416)

يلاحظ إذن أن هذه المصطلحات و المفاهيم كلها تصب في مصب واحد و هو (المسنون بين واقع ما ينبغي أن يكونوا عليه وواقعهم الذي هم عليه) إذ انه من الموضوعية بمكان أن يكمل المسنون حياتهم إلى آخر يوم من أعمارهم بين ذويهم داخل أسرهم التي كانوا سببا في وجودها و يجب أن توفر لهم بيئة المعيشة المناسبة و مناخ الحياة الملائم أولا ثم الرعاية الخاصة و الخدمة اللاتقة من طرف أبنائهم و حتى أحفادهم في أحيان كثيرة دون ادني تفكير في قضية تحويلهم إلى دور العجزة و المسنين. فما البال في قضية التخلي عليهم في بيوت قديمة معزولين عن العالم دون قائم و لا معيل و أكثر مرارة من ذلك طردهم إلى العراء في الساحات العامة و الأرصفة تحت شرفات منازل الغير أين يتعرضون للإهانة و التعدي عليهم من طرف عصابات الشر و الإجرام و يأكلهم التشرذ و تلتهمهم الأمراض و الأوبئة جراء الجوع و العري و الأوساخ من جهة و من جهة

ثانية جراء تأثرهم العميق و تدميرهم و حزنهم الشديد الناتج عن نبذهم و التنكر لمعروفهم و فقدانهم للدفع الأسري... ليبقى المجال مفتوحا في الحالات المستعصية و الاضطرارية أين لا نجد القريب المعيل نهائيا للمسن أو تلك الفئة المتخلى عنها في العراء لنقوم بدورنا الاجتماعي تجاه هؤلاء و نلجأ إلى اعتماد هذه المؤسسات الاجتماعية بمختلف أنواعها حتى تتكفل بهذه الفئات المحرومة حيث يتوفر لهم هناك المأوى و المأكل و الملابس والرعاية الصحية و النفسية عن طريق فرقها المتخصصة وعملها المؤهلين .

6 - احتياجات المسنين و كيفية رعايتهم:

ذكر (هيشور، 2021 وسقني، ص ص173) بان المسنين لهم عديد الاحتياجات و كثير من المطالب لا بد من توافر طرق و أساليب إنسانية لرعايتهم و توفيرها لهم و يمكننا أن نوجزها كالآتي :

أ - الاحتياجات الصحية : بدءا ببيئة سكنية ملائمة بتوفير ظروف معيشة جيدة من مأكل و ملابس و نظافة و أدوية و وسائل المساعدة على التطبيب و العلاج المنزلي و الأجهزة المساعدة على راحة الأعضاء كالنظارات و الساعات و أجهزة قياس السكر و ضغط الدم و الحرص على إجراء الفحوصات الدورية و القيام عليهم بالتوجيه و الإرشاد الطبي الوقائي و العلاجي و التثقيف الصحي .

ب - الاحتياجات النفسية : كثيرا ما يتعرض المسنون إلى موجات شديدة و متتالية من القلق والتوتر والخوف وعدم الاطمئنان نتيجة اختلال الوظائف العقلية لديهم و تعرضهم لبعض الوعكات الصحية والأمراض المزمنة إضافة إلى فقدان أحد المسنين لشريك الحياة أحيانا يشعره بالوحدة وافتقاد السند الداعم و المعين له، ما يفرض على المحيطين به تعويض الشريك و الاهتمام به بالتخفيف من هلاوسه و إزالة مخاوفه من المجهول الذي صار إليه.

ج - الاحتياجات الاجتماعية: يصارع المسنون مشكلة تراجع العلاقات الاجتماعية الناتجة عن قطع صلاتهم بأقربانهم الذين لزموا بيوتهم لكبر سنهم من جهة و رفقاء درهم في العمل من جهة أخرى نتيجة تقاعدهم يشعرون هذا الانقلاب في وضعيات تفاعلهم بالعدلة و انقطاع روابط العلاقات

الاجتماعية فلا يجدون ملاذا لاستفراغ ما يجول بخواطرهم و يخالج أنفسهم، فهم في أمس الحاجة لتعويض ذلك مع المحيطين بهم من أفراد أسرهم أو المكلفين برعايتهم في المؤسسات الاجتماعية المخصصة لذلك، و إلا سينقلب عليهم الأمر إلى وساوس نفسية و أمراض جسدية و عصبية قد تنتهي بهم إلى الجنون أحيانا، و هي الأحوال التي توجب على أفراد الأسرة عدم إغفالها بالاحتكاك الدائم بهم و القيام عل توفير حاجاتهم و لو بالمحادثة المستمرة و من ثم توفير ما يطلبونه في حينه.

د - الاحتياجات الاقتصادية: تختلف أوضاع المسنين داخل أسرهم باختلاف أوضاع الأسر ذاتها من حيث نمط المعيشة و طبيعة الحياة و قيمة الدخل الأسري، و أنواع الوظائف و المهن التي كان يمارسها المسن أو التي يمارسها أفراد الأسرة حاليا و التي قد تنعدم أحيانا فلا المسن كان عاملا و أحيل على التقاعد و لا احد من أفراد العائلة موظف و هنا تكون الكارثة و تكون الوضعية اعقد، و قد يكون المسن صاحب معاش و لكنه ضئيل و لا يسد الحاجات الأسرية و تعدد مطالبها و لا حتى الحاجات الشخصية للمسن، خصوصا في ظل أوضاع تدهور القدرات الشرائية مما ينتج عنه اضطرابا اقتصاديا في أحوال الأسرة يتضرر منه بالدرجة الأولى كبار السن لأنهم يحتاجون إلى رعاية خاصة تتطلب المال الوفير و لم تستطع الأسرة الفقيرة توفيرها مما يضطرهم إلى مغادرة البيت طوعية أو قسرا إلى ديار الرحمة و مؤسسات رعاية المسنين .

7- واقع التكفل باحتياجات المسنين في الجزائر: ورد لدى (هيشور، 2021، وسققي، ص 176.177) إشارة إلى المرسوم المتعلق بواجب كفالة المسنين و رعايتهم و الذي جاء فيه :

"يشير المرسوم رقم 82/80 المؤرخ في 15 مارس 1980 المتضمن إحداث دور العجزة و المسنين و تنظيمها و تشغيلها : فمن بين ما يشير إليه: أن دور العجزة و المسنين تستقبل المسنين الذين تعدوا 65 سنة و لا يتمتعون بأي داعم عائلي و لا أي موارد مالية و كذا العجزة و المعوقين حركيا الذين تعدوا سن ال 15 سنة و لا يتمتعون بأي دعم عائلي و لا أي موارد مالية و الذين يثبت عجزهم عن العمل و إعادة التأهيل المهني و الوظيفي " .

غير أن الواقع الميداني يدلي و يؤكد غير ذلك حيث أن دور العجزة و مراكز رعاية المسنين حسب بعض الدراسات الميدانية التي اهتمت بالموضوع تعج بخليط بشري يضم العديد من الفئات

و الشرائح المحرومة، حيث يستقبل فئات لا تتوفر فيها الشروط المذكورة في المرسوم لتتحول هذه المؤسسات إلى بيئات غير ملائمة لإيواء المسنين كونها لا تتوفر على شروط الراحة و العيش المقبول و التكفل الاجتماعي بالمسنين إذ من بين الشرائح التي تستقبل في هذه الدور و المراكز الاجتماعية نجد:

- أ- المسنونون الذين لم يبلغوا سن الستين بعد. (كهول دفعت بهم ظروف المعيشة الأسرية المعقدة إلى اللجوء إلى هذه المؤسسات الاجتماعية طلبا للرعاية و التكفل)
- ب- المهمشون اجتماعيا (مدمنو الكحول و المهلوسات و المخدرات و المشردون).
- ج- اليتامى و القصر و مجهولي الأنساب الذين لم يدمجوا اسريا و لا اجتماعيا.
- د- النساء اللواتي يعانين مشكلات متنوعة (أمهات عازبات . مطلقات . بعض حالات الترميل ...)
- هـ- بعض أفراد حالات الرفض الأسري من كلا الجنسين (الطرد و التبرؤ منهم) أو الهروب من المنزل العائلي نتيجة التفكك الأسري و المشكلات العائلية المتنوعة.

ثالثا : المسنون ومشكلاتهم :

ذكر (جاب الله، وآخرون، 2021، ص572) بأن المسنين "يتعرضون إلى عديد المشكلات التي تؤثر على حياتهم الشخصية اليومية و كذا على علاقاتهم مع الآخرين من أقرباءهم من أفراد أسرهم من جهة و مع أفراد مجتمعهم من جهة أخرى، و تنشأ هذه المشكلات عن خلل وظيفي للأسرة يتجلى من خلال تخلى عنصر أو أكثر من عناصرها عن دوره و الوظيفة المنوطة به تجاه الآخرين و خصوصا كبار السن منهم و تظهر هذه المشكلات من خلال تصرفات المسنين وسلوكياتهم وردود أفعالهم تجاه ذواتهم و تجاه المحيطين بهم. و قد تتعدد هذه المشكلات و تتنوع بين (بسيطة ومعقدة) أو (بين عارضة و دائمة مزمنة)"، و تنقسم إلى أربعة أنواع هي:

1 - مشكلات اجتماعية :

تتسم مرحلة الشيخوخة بمشكلات اجتماعية تظهر بوضوح مع التقدم في السن و تكون ذات تأثير كبير على حالة التوافق الاجتماعية لديهم و تزداد حدتها مع زيادة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية التي يشهدها المجتمع في عصرنا الآني عصر تكنولوجيا الإعلام و الاتصال

والتطور العلمي المعرفي الذي اثر سلبا على علاقات الاتصال والتواصل بين أفراد الأسرة الواحدة وبينهم وبين الأفراد الآخرين من المتفاعلين معهم قرايبا واجتماعيا، وإن الفئة الأكثر تضررا من هذا الانقطاع التواصلية بين أفراد الأسرة هم المسنون الذين وجدوا أنفسهم بين عشية وضحاها مهمشين ومعزولين عن الجو العائلي الدافئ مما أدى بهم إلى الشعور بالدونية والاحتقار وأنهم غير مرغوب فيهم بعد أن كانوا إلى وقت قريب هم رمز الوحدة والقيادة والتدبير لكل شؤون الأسرة في جميع مناحي الحياة أدى وضعهم الأسري والاجتماعي هذا إلى معاناتهم من عدة مشكلات نوجزها كما يلي :

1.1 اضطرابات العلاقات الاجتماعية:

رغم أن الشيخوخة ليست مشكلة في حد ذاتها كما اشرنا إلى ذلك أنفا كونها مرحلة عمرية لا بد منها لأغلب أفراد بني البشر فإن المشكلة فيها هي عدم تمكن الفرد المسن من التكيف مع المتغيرات الفسيولوجية التي تطرأ عليه وتجعله يعيش مشاكل اجتماعية مع المحيطين به فتتخسر العلاقات الاجتماعية وتنكمش نتيجة إحالة المسن على التقاعد وتوقفه عن العمل الذي يقلص علاقاته وتفاعلاته الاجتماعية نتيجة فقدانه لأصدقائه فيجد صعوبة كبيرة في استبدالهم بآخرين ولو اعتمد في ذلك على التقرب من أفراد أسرته أكثر من ذي قبل، فتتدهور علاقاته الخارجية مع الرفاق وتدهور علاقاته الداخلية الأسرية ويؤدي ذلك إلى شعوره بالوحدة والتمهيش فيلجأ إلى الاعتزال والانطواء ويقوده ذلك إلى ولوج عالم الاكتئاب والأمراض النفسية .

2.1 سوء المعاملة :

تعد سوء معاملة المسنين إحدى المشكلات المعقدة ذات الوقع الشديد الألم على نفسية المسن والتي يمكن أن تظهر في نطاقات متباينة وكنعكاس لأسباب شتى وعوامل مختلفة، وكما يمكن تأكيد حدوثها في المنازل وفي الوحدات السكنية على اختلاف مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية فإنه يمكن تأكيد وقوعها أيضا داخل مؤسسات رعاية كبار السن ذاتها بمختلف مسمياتها وبمختلف أنواعها وهي الهيئة الرسمية المنوط بها توفير الأمن والرعاية البديلة لهذه الفئة المتواجدة هنا اضطرابا بالدرجة الأولى.

3.1 التقصير في الرعاية :

وتشير إلى القصور في انجاز الواجبات الخاصة بالمسن سواء المتواجد داخل الأسرة أو المتواجد في دار العجزة من مثل التأخر في إمدادهم بالطعام أو خدمات الرعاية الصحية أو منعهم من استعمال بعض أجهزتهم كالنظارة أو الساعة أو تركهم محجورين و التغاضي المتعمد عن تلبية مطالبهم و حاجاتهم الجسدية و الاجتماعية و العاطفية لهم يعرضهم هذا التصرفات إلى التوتر والامتعاض والقلق و الاكتئاب والشعور بعقدة النفس .

4.1 ضعف الروابط الأسرية :

وهي تلك العلاقات التفاعلية بين أفراد الأسرة و التي من المفروض أن تكون قوية يسود فيها الحب و الوثام و الوفاء و التكافل فيعم الخير و يساهم ذلك كله في تماسك الأسرة، أما إذا حدث العكس أي يسود فيها البغض و المشاحنات و الفوضى و الكراهية و القطيعة صارت مفككة عرى الأخوة و روابط الأبوة و البنوة فتضعف و تتفكك و يؤدي ذلك إلى ظهور مشكلات أسرية متعددة تهدد كيانها فيختل بناء المراكز و الأدوار الاجتماعية لأفرادها فيفشل عنصر منهم أو أكثر في القيام بوظيفته نحو الآخرين و تبرز الصراعات الفردية و الجماعية فينعكس ذلك سلبا على نمط معيشتهم و إن أكبر المتضررين منها هم كبار السن كونهم محجرة و في حاجة إلى رعاية خاصة و بتغاضي غيرهم عنهم يتعرضون إلى المشكلات المتنوعة و الأمراض المختلفة.

يشعر المسن بوجود فجوة نفسية تباعد بينه و بين أفراد عائلته الذين كان هو سبب وجودهم وكذا بينه و بين أفراد جماعته و مجتمعه الذين كان يحتك بهم ويتفاعل معهم في مكان العمل أو في الأماكن العامة فيؤدي به ذلك إلى الشعور بالدونية و يرى بأنه صار شخصا غير مرغوب فيه و كأنه عالة عليم فينهار و يحبط و ينسحب اسريا و اجتماعيا فيتحول إلى بيئة خصبة للأمراض النفسية و الجسدية .و سرعان ما تظهر عليه آثار ذلك في شكل وعكات صحية متتالية ينجر عنها ضعف جسدي، ضعف الحواس وضعف القوى العضلية، انحناء الظهر وجفاف الجلد و ترهله و تجعده، ضعف الجهاز العصبي وضعف مناعة الجسم، عسر الهضم و الصداع و قد ينتهي به الأمر إلى السقوط في دوامة الأمراض المزمنة و التشوهات و الإعاقات .

2 - المشكلات الاقتصادية:

أشار (جاب الله، وآخرون، 2021، ص572) بان المشكلات الاقتصادية للمسنين: "تمثل أساسا في تنصل الأبناء من الإنفاق عن آبائهم و عدم توفر شرائح عريضة من المسنين على معاش شهري كونهم عاشوا بطلين أو حصول بعضهم الآخر على معاش قليل لا يكفي حتى لسد أهم الضروريات خاصة تجاه الأمراض و بعض المشكلات المستعصية و جدير بالذكر انه حتى البعض ممن يحصلون على معاشات شهرية مرتفعة فإنهم يعانون الولايات نظير تطاحن أبنائهم عنه، مما يؤدي إلى تعقد المشكلات الأسرية و تشعبها فيدفع ثمنها غالبا كبار السن- إذ يتعرضون للإهمال الكلي و التجاهل المتعمد وفي ذلك مدعاة لاضطرار المسنين إلى مغادرة البيت وبالتالي التشرّد في الشوارع و اتخاذ ملاحئ في الساحات العامة و على الأرصفة تحت شرفات المنازل و منهم من يتعرض للطرد العلني الفظيع من طرف احد فلذات أكبادهم و في وضعية تقل أضرارها أن يحول من المنزل العائلي - و الذي يكون هو من شيده و بناه- قسرا ليرمى في إحدى دور العجزة أو مراكز الإيواء الاجتماعية أو افرادهم بالسكنات التقليدية القديمة التي لا تتوفر على ادني شروط الحياة و انزاله فيها دون رعاية من احد فكيف تكون أحوال المسن في مثل هذه الوضعيات ؟

أخيرا... يمكن إلا أن نطرح التساؤل التالي: " هل نقل الوالدين المسنين إلى دار العجزة حرص و رعاية أم انه عقوق و جريمة ؟ "، من كلام الناس هناك من يرى بأن نقل الوالدين المسنين إلى دار العجزة يعتبر رعاية و حرص على صحتها باعتبار أن وضع صحتها يحتاج إلى رعاية و متابعة دقيقة تحتاج إلى برامج مضبوطة و إلى طواقم بشرية متخصصة و مؤهلة، ولا تتوفر هذه الظروف في بيت الأسرة .

وفي تقديرنا أننا نقبل هذه الرؤى و الأفكار في حالات و وضعيات قليلة مستعصية. و ليس كثافة اجتماعية إذ أننا نعترف بفشلنا التربوي الأسري و فشل علاقاتنا الأسرية و نطمح أن تعوضنا و تنوب عنا تلك المؤسسات الاجتماعية .

فما يرى آخرون أن مجرد تفكير الشخص في تحويل أبويه أو حتى جديه إلى دار العجزة يعتبر عاقبا بهما و واقعا بذلك في جريمة أسرية لا تغتفر و لا تقبل لها أذار مهما كانت و هو التصور الذي نسير في فلكه كونه يتوافق و مبادئ و قيم و أخلاق حضارتنا العربية الإسلامية.

قال الله تعالى : ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تهرهما و قل لهما قولا كريما * و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا *)) الإسراء . الآيتان 23- 24

فإذا كان هذا الأمر- إيواء المسن في دور العجزة - عاديا في المجتمعات الغربية فان الأمر عندنا أكد يختلف اختلافا كبيرا حيث قد يصدق الرأي الأول (وضع المسن في دار العجزة) على حالات قليلة ذات خصوصية معينة و وضعية عائلية جد معقدة شريطة إن لا يتخلى عنه الأهل يوما واحدا بالزيارات توفير متطلبات التنفيس و التخفيف عنه ، فما بالناس بالشهور و السنوات و أحيانا حتى الموت، و تؤيد الطرح الثاني لان في اعتقادنا أن اغلب أسباب التخلي الأسري عن المسن هي أسباب دنيوية مصلحة واهية ناتجة عن انقسام عرى العلاقات الأسرية التي هي انعكاس سلبي لتعاطينا السلبي مع التغيرات الاجتماعية و التطورات التكنولوجية الحاصلة في العالم.

و نخلص إلى القول إذن بأنها صور مأساوية لضحايا مجرود الأبناء ممن لا تعرف الرحمة وجودا لها في قلوبهم و قد فقدت ضمايرهم حلاوة الحس الإنساني بنكرانهم لجميل آبائهم و أجدادهم و إنها لمرارة الفراق و عذاب الاشتياق ذلك الذي يعاينه المسنون المتخلى عنهم من طرف أسرهم و ذويهم مهما كان الموضع الذي هم يقيمون فيه لأنه و ببساطة فان دور الشيخوخة التي يعتمدونها الأبناء لا يواءم أبائهم جريمة نكراء يرتكبها الأبناء في حق الآباء و الأمهات لان هذه الدور هي بينات حياة الموت البطيء في صمت، معاناتهم و آهاتهم يعرفها زائرهم مرتسمة على تجاعيد جلدة وجوههم و ترى بكل جلاء في دموع عيونهم المنهمرة بحرقة معبرة عن وحشتهم و شعورهم بالظلم الأسري تجاههم بعد أن افنوا أعمالهم كدا و أتعابا من اجل توصيل أبنائهم إلى ما هم عليه من حال عيش.

و تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى انه لا مجال و لا سبيل للمقارنة بين أوضاع المسنين و دور العجزة عندنا (المجتمعات العربية و الإسلامية) و عندهم (المجتمعات الغربية) و لا للدعوة للاقتداء

بهم في هذا المجال مهما كان عندهم ناجعا و ايجابيا، فلا ثقافتنا تشبه ثقافتهم و لا حضارتنا يشبه حضارتهم.

رابعاً: التوصيات

- 1- يتطلب منا موضوع التعاطي مع المسنين ضرورة إعادة النظر في سلم المنظومة القيمية و الأخلاقية للمجتمع الجزائري و ضرورة إعادة ربطها بمبادئ حضارتنا العربية الإسلامية .
- 2- يقود هذا إلى وضع إستراتيجية شاملة للتكفل الاجتماعي و المادي و الصحي و النفسي و الانفعالي بفتة كبار السن داخل أوساطهم الأسرية ذاتها و في مؤسسات رعايتهم عند الاضرار إلى اللجوء إليها في الحالات المستعصية.
- 3 - و يدفعنا ذلك إلى الحرص و الاهتمام بالبرامج التوعوية الأسرية و الاجتماعية التي تبين قيمة وجود المسن في الأسرة و قيمة مكانته الاجتماعية و قيمة دوره الفعال في لم شمل الأسرة وترشيد إدارة أمورها .
- 4 - و عليه يترتب ضرورة نشر الوعي الاجتماعي و الثقافي بين أفراد الأسرة و العائلة بوجوب الاهتمام بالمسن و توفير الرعاية الخاصة له مهما كانت أحوالها الاقتصادية و الثقافية .
- 5 - و يتأتى لنا ذلك من خلال تفعيل العلاقات التفاعلية و التواصلية الداخلية للأسرة عن طرق تفعيل مبادئ الحوار و النقاش الأسري الهادف .
- 6 - ويفرض علينا هذا تعزيز المناهج التربوية و المقررات الدراسية و المضامين التعليمية في مختلف المراحل التعليم بأهمية التقدير الاجتماعي للمسنين.
- 7 - و تعزز هذه الخطوات بإجراء المزيد من البحوث العلمية و الاجتماعية و النفسية حول موضوع الأسرة الجزائرية و علاقة أفرادها فيما بينهم وعلاقتهم بالمسنين (وخصوصا بحث علاقة تخلي الآباء عن أبنائهم لصالح دور الحضانة و بيوت المربيات وهل هي تنعكس عليهم بان يزوج بهم الأبناء في دور العجزة لاحقا ... وكذا قضية خروج المرأة من البيت وولوجها جميع ميادين العمل) باستخدام تقنيات علمية موضوعية تعتمد على الملاحظة التشاركية والمقابلة ومن ثم تقديم المقترحات في شكل بدائل وقائية قبل ان تكون علاجية .

■ الخاتمة :

تبدو عبارة دار المسنين عبارة عادية تقال و تسمع من طرف الجميع و لكن ما تخفيه خلفها أمور أكبر و أعظم بكثير إذ أنها تعبر عن كل أنواع الأسى و الآلام و الآهات التي يشعر بها آباؤنا و أجدادنا الذين تبرانا منهم وتنكرنا لهم و هم سبب وجودنا ، وان المتتبع لواقع حياة المسنين في بلادنا ليقف على حقائق مأساوية تدمي القلوب الرحمة، حيث تعاني فئة المسنين مشكلات متنوعة سواء المقيمون داخل بيوت أسرهم التي ينتمون إليها أو المقيمون في مؤسسات و مراكز رعاية المسنين ما يفرض علينا أفرادا و جماعات مسؤولين و مرؤوسين أن ندق ناقوس الخطر و أن نتصافر جهودنا و أن نسارع إلى إيجاد حلول مناسبة تقلل من تعدد مشكلاتهم و حدتها و تخفف من وقعها عليهم .

■ الإحالات والهوامش :

- القران الكريم
- هيشور، محمد، لمين، و سقي، عبلة، الأسرة وفئة المسنين، قراءة سوسيولوجية حول التكفل و رعاية فئة المسنين بين الثابت و المتغير، مجلة المدار، 25/12/2021 / ISSN 2336-1160
- السرجاني، رابع(2010)، ماذا قدم المسلمون للعالم، إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، المجلد الأول، ط5.
- غنام، صليحة، واقع رعاية المسنين في دار العجزة بالجزائر، دراسة ميدانية على عينة من المسنين بدار العجزة بباتنة، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية و الإنسانية، مجلد 18، عدد02، 18/06/2019. / ISSN 1112-4210 .
- بوريش، محمد(2021)، دور الخدمة الاجتماعية في رعاية المشنين، دراسة ميدانية لدار العجزة بولاية عين تموشنت (الجزائر)، مجلة روافد للدراسات و الأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية و الإنسانية، المجلد 05، العدد(01)
- وكالات شرقي، النهار اونلاين، 15/05/2014 . <https://www.ennahar.com>
- جاب الله، الطيب، و لعموري، نصيرة، و بطاوي، بهية: المشكلات النفسية و الاجتماعية لدى كبار السن واليات التكفل بهم، مجلة الجامع في الدراسات النفسية و العلوم التربوية، المجلد06، العدد01، 2021 .
- الوسط اونلاين .يومية سياسية مستقلة، العدد 5159، الجمعة 21 أكتوبر 2016 <https://www.allwasat>
- (news.com/news1171465)